المبدأ 37

عندما تكون المماثلة،
السلاح الأمثل لنزع السلاح

المغزى:

نحو تقليل مقاومة الناس لك، أنت بحاجة إلى خدعة ما ولعل أنجع أنواع الخدع هي المماثلة (تكتيك المرآة) وثمة أكثر من تأثير لاستخدامات هذا التكتيك في عالم السلطة ومنها:

1) أن تكون ظل المنافس (تجمع المعلومات عنه/تفاجئه بعمل ما ينوي فعله فيشعر عندها بالخيبة والإحباط).

2) أن تبدي تعاطفاً متجاملاً، (أي إذا استطعت أن تظهر بأنك تفهم الآخر فهماً عاطفياً/شاعرياً سيعطيك ذلك نفوذاً ما).

3) أن تعامِله كما تعامل معك (وبفعل الشبيه تجعل الآخر يدرك تصرفه، وكيف كانت أعماله خاصة عندما تكون مزعجة وكريهة).

obeikandl.com

أن تعكس للآخرين صورة سلوكهم، ذلك يعني تركهم أمام خيارين: إما أن يتجاهلوك وإما أن يبدأوا في التفكير بأنفسهم. وفي كلا الأمرين ضربة مطرقة على صلابة «تقوقعهم»، لأنه حين تقلد أفعال الآخرين وحركاتهم وتصرفاتهم تريهم أنفسهم من خلالك وعندما يشعرون بأنهم مقلِّدون ومستنسَخون ومعاملون على أنهم أشياء فإنهم يرتجفون ويصبحون منزوعي السلاح. لقد سلبت لبّهم عندما جعلتهم يرون أنفسهم من الخارج بدون روح، وفي تلك اللحظة تكون لديك القدرة التي تمكنك من التلاعب بهم. وهكذا لئن تظهر بمظهر الآخرين وتلاحظ أدق تفاصيل هيئتهم، عاداتهم، أمور حياتهم اليومية، تعرف حينئذ ما يكمن تحت مظهرهم. وعليه تكون قد أمسكت بذلك «مقبض» السلطة عليهم.

المثال

تخبر ريما عن حالتها بالقول: «نشأت في منزل يقدر العلم ويعد الثقافة من أهم المقاييس التي تقام على أساسها العلاقات بين الناس ويحكم من خلالها على الشخصيات التي تتردد علينا، لذا واصلت دراستي حتى حصلت على أعلى شهادة يمكن الحصول عليها، وإلى جانب ذلك لم أهمل إلمامي بالثقافة العامة التي كانت خير معين على صقل شخصيتي، لكن ذلك قد أثر سلباً على حياتي الخاصة حين لاحظت أن دائرة الاختيار الخاصة بالزواج

كانت تضيق مع تقدمي في سنوات الدراسة وتقدمي في العمر لتصبح محصورة في دائرة صغيرة من ذوي التحصيل العلمي، وتم الزواج أخيراً بطريقة تقليدية لكن بعد فترة من حياتنا الزوجية لاحظت أن زوجي بدأ يضيق ذرعاً بأي نقاش أكون أنا طرفاً فيه، ويثور إذا صححت له أو لغيره من الحاضرين معلومة قيلت خطأ أو تصديت لفكرة وجدت أنها غير مقنعة.. إلى أن بدأ زوجي يأمرني بطريقة صارمة عدم التمادي بما أعرف، دون أن يحاول إقناعي بصوابية ما يقوله بل كان يتصرف بطريقة جارحة كرسالة تثنيني عن متابعة الحديث.. وهذا ما جعلني أتساءل إذا ما كنت أستطيع الاستمرار في ظل حياة زوجية تأتيني مشاكلها من الباب الذي كنت أتوقع بأنه لن يؤذيني، فإذا به (باب المعرفة والعلم) الباب الأكثر إدخالاً للرياح كي تهز عشنا الزوجي.»

رغم أن ريما على مستوى من الثقافة يبدو أن علمها المتقدم لم يزدها معرفةً بكيفية العلاقة مع الناس ويبلور حكمها الصحيح على الشخصيات التي تتواصل معها وهي بدأت قصتها بالقول إن الثقافة من أهم المقاييس التي تقام على أساسه العلاقات ويُقيّم من خلالها الشخصيات فأين هي منه؟ هل وعيت ذلك حقيقة؟ يبدو أنها لم تُحسن سبر مستوى الحضور معرفياً، ذهبت بعيداً عن المرآة فلم تمارس تكتيك المماثلة: ما إن يطرح موضوع للنقاش حتى تتصدى

له، وما إن تثار قضية خلافية حتى تسارع إلى حسم الخلاف فيها، وما إن تستمع لفكرة لا تعجبها حتى تسارع إلى نقضها... إلى أن كانت ردة فعل زوجها المنزعجة في كفها عن التبجّح بالمعرفة، زاد غيظه عندما تتدخل لتقاطعه أمام أصدقائه رغم أنه هو على مستوى معين من الثقافة.. كان ينبغي هنا اعتماد استخدام تكتيك المماثلة التي أشرنا إليها سابقاً لناحية التجامل والمعاملة بالمثل وتقدير كل منهما لما يعرفه الآخر، ومعرفة أن لكل مقام مقال.

الملخص:

عندما تشتبك مع عدو وتدرك أنك تحرز تقدماً، فالتصق به وتغلغل في صفوفه حتى تصبح وإياه كأنك واحد وعندئذ تستطيع الفوز بتطبيق أسلوب المماثلة في الاشتباك، أما إذا ابتعدت منفصلاً فإنك ستخسر فرصة النصر.

المرادف:

- عندما أريد أن أكتشف أي شخص كم هو حكيم أو غبي أو طيب أو شرير أو ما هي أفكاره في حينها، فإنني أشكل تعبير وجهي بأقصى دقة ممكنة حسب التعبير المرتسم على وجهه، ثم أنتظر لأرى ما الأفكار أو العواطف التي تنشأ في ذهني أو قلبي كأنما تتماثل مع التعبير.

(إدغار ألن بو)

▪ يجب أن يكون الطبيب معتماً غير شفاف أمام مرضاه، وأن لا يعرض عليهم أكثر مما يبدو أمامهم لو نظروا في مرآة.

(سيغموند فرويد)

▪ ▪ ▪

obeikandl.com